رابعا : مملكة الحبشة .

تقع الحبشة في منطقة القرن الإفريقي شرق القارة ، و تعرف حاليا بإثيوبيا و هي لفظة يونانية معناها صاحب الوجه المحروق أو صاحب الوجه ذي اللون الأحمر القاتم أو الأحمر البني ، و سُميت البلاد نسبة إلى هؤلاء أي بلاد أصحاب الأوجه الحمراء البنية ، و قد ذكر كثير من الكتاب القدماء بلاد إثيوبيا منهم هوميروس و هيرودوت و استرابون ، و كانوا يذكرونها بطريقة تدل على أنّ موقعها معروف لديهم ، و لكن لم يصف لنا أحد منهم حدودها[1] .

أمّا لفظ الحبشة فهي التسمية التي يطلقها العرب على هذه المنطقة الجغرافية ، و هي اسم قبيلة حبشت اليمنية ، و ربما كانت أكثر القبائل التي هاجرت إلى الحبشة أهمية ، حدث ذلك قبل الميلاد بعدة قرون و عرفت منذ ذلك الوقت في المشرق بهذا الاسم ، و يسمى الأحباش أرضهم إثيوبيا منذ اعتناقهم المسيحية في القرن 4م ، و يشعرون بامتعاض في تسميتهم بالأحباش و في تسمية أرضهم بالحبشة ، لأنّ إثيوبيا ترجمة يونانية للفظ كوش ، و كان لها سلطان و حضارة و ذكرها الكتاب المقدس[2].

و تأسست في المنطقة مملكة أكسوم في الأجزاء الشمالية و الشرقية من إثيوبيا حوالي منتصف القرن الأول الميلادي ، و قد استطاعت أكسوم أن تصبح من أقوى دول العالم آنذاك و اتسعت حدودها حتى بلغت أقصاها في الثلث الأول من القرن السادس الميلادي ، فوصلت بحدودها إلى سهول الصومال جنوبا و مصر شمالا و النيل النوبي غربا و عبرت حدودها الشرقية البحر الأحمر ، فاحتلت جزءا من جنوب الجزيرة العربية ، و قد قسم المؤرخون تاريخ مملكة أكسوم إلى فترتين :

- الفترة الأولى : تمتد من قيام أكسوم حتى دخول الديانة المسيحية المملكة .
- الفترة الثانية : تبدأ بتحول الملك عيزانا ملك أكسوم إلى المسيحية في القرن 4م حوالي سنة 320م و تمتد حتى انتهاء المملكة[3] .

و يمكننا تتبع تاريخ أكسوم و مظاهر الحضارة في فترة مجدها فيما يلي :

1 – وصلت أكسوم إلى مكانة مرموقة عالميا خلال القرن الثالث الميلادي .

---

[1] مراد كامل، **الحبشة بين القديـــم و الحديث**، محـــاضرة ألقيت بدار الجمعية الجغرافية المصرية، 4مارس 1959م، دون تاريخ و مكان الطبع، ص 5 .

[2] نفسه، ص 9 .

[3] الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 55 .

2 – نجاح الملك عيزانا في القرن الرابع الميلادي في القضاء على القوى المعارضة لحكمه و اعتناقه المسيحية .

3 – في عهد الملك كالب آخر ملوك أكسوم العظام نشبت حروب بين أكسوم و الحميريين في جنـــوب الجزيـــرة العربية ، و قد تلقب كالب بلقب ملك أكســـوم و حمـــير و سبأ و البلاد العليا و حضرموت و البجة و النوبة[1] .

و ذكر مؤرخو العرب خبر احتلال الحبشة (أكسوم) لليمن ، و خلاصتها أنّ أحد ملوك اليمن و اسمه "ذو نواس" كان يهوديا و كان يحمل الناس على اعتناق اليهودية و عمد إلى قتل النصارى ، و وضع لهم أخاديد في الأرض و ملأها نارا و ألقاهم فيها (قصة أصحاب الأخدود) ، و أفلت منهم رجل يدعى ذو ثعلبان حتى أتى قيصر الروم يستنصره على ذي نواس ، فأرسله إلى ملك الحبشة و كتب إليه يأمره بنصرته ، فأرسل ملك الحبشة معه جيشا بقيادة رجل اسمه أرباط فدخل اليمن و احتلها ، و تولى بعده أبرهة الأشرم و استقل بالأمر و حاول هدم الكعبة سنة 571م (عام الفيل) و هلك في عامه ذلك[2] .

و قد عرفت هذه المملكة في عهد أصمحة النجاشي هجـــرة المسلمين الأوائل إليها فأجارهم و منع البطارقة من التعرض لهم ، فثاروا عليه و كادوا يخلعونه ، فأقام المسلمون في جواره حتى بعث النبي صلى الله عليه و سلم في طلبهم فعادوا إلى المدينة سنة 8هـ/629م[3] .

و بدأت مملكة أكسوم تضعف في القرن 1هـ/7م خاصة بعد قيام الدولة الإسلامية و فتوحاتها و سيطرتها على الطرق التجارية في البحر الأحمر و إبعاد البيزنطيين حلفاء الأحباش عن الشرق كله ، و بعد ذلك فإنّ الروايات التاريخية عن تاريخ الحبشة تكاد لا تفصل شيئا عن تاريخها حيث دخلت المملكة في صراعات مع جيرانها ، و ربما تكون تلك الأحداث قد ساعدت على وصول التجار المسلمين إلى الحبشة و بالتالي انتشار الإسلام لاسيما مع انهيار مملكة أكسوم نتيجة الهجمات التي كان يشنها البجة في السهول بين الهضبة و البحر و مهاجمة المدن الحبشية معطلين بذلك النشاط الإقتصادي ، فضلا عن هجرات اليهود منذ سنة 18هـ/640م و ثورات الوثنيين ، كل ذلك فتح المجال أمام المسلمين للوصول إلى الحبشة و الإنصهار مع السكان[4].

---

[1] الموسوعة الإفريقية، ج2، ص ص 56-57 .

[2] يوسف أحمد، **الإسلام في الحبشة**، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة، 2012م، ص 12 و ما بعدها .

[3] نفسه، ص 18 .

[4] د/بشار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 92 .

و يبدو أنّ الإسلام قد نفذ إلى الداخل في وقت مبكر ربما في القرن الثالث الهجري حين وصل إلى منطقة "شوا" ، حيث قامت سلطنة إســـلامية عملت على توطيـــد العقيدة الإسلامية في جنوب و شرق الحبشة ، و ظهرت هذه السلطنة على يد أسرة بني مخزوم العربية و استمرت في الوجود أربعة قرون من الزمان (283-684هـ/896-1285م) ، و تمتعت خلالها بالأمن و الاستقرار و كثرة المدن و النواحي[1].

و كانت مملكة أكسوم في أواخر أيامها عندما نشأت سلطنة شوا الإسلامية ، و لذلك لم تتمكن من التصدي لها أو تمنع قيامها في جزء من الهضبة الحبشية ذاتها ، و كذلك لبعد أكسوم التي كانت تقع في أقصى الشمال في إقليم التيجري بينما سلطنة شوا كانت على بعد مسافة كبيرة منها ناحية الجنوب ، و رغم ذلك فإنّ المعلومات عن هذه السلطنة قليلة ، و أهمها تلك التي عثر عليها المستشرق الإيطالي شيروللي " E.Ceruli " سنة 1354هـ/1936م و التي تناولت تاريخ المملكة في نهاية حكمها (من سنة 629-688هـ/1231-1289م) ، تلك الفترة التي كانت مليئة بالإضطرابات و الصراعات الداخلية على السلطة فضلا عن دخولها في صراع مع الممالك الإسلامية المجاورة لها ، الأمر الذي أدّى إلى ضعفها و عدم مقدرتها على الصمود أمام مملكة عربية ناشئة هي مملكة أوفات التي تمكنت من الإستيلاء عليها سنة 684هـ/1285م[2] .

و بالعودة إلى تاريخ الحبشة فقد استطاعت أسرة الأجويين أن تقضي على مملكة أكسوم الضعيفة سنة 329هـ/940م ، و كان أول ملوك هذه الأسرة امرأة يهودية أرادت أن تكرّس الحكم لنفسها و لأهل عقيدتها أو لقبيلتها من الأحباش الذي كان معظمهم يدين بالوثنية ، فأمرت بهدم الكنائس و اضطهاد المسيحيين ، و كانت دولـــة الأجويين دولـــة إقطاعية حيث قام أمراء الأقاليم و النواحي بفرض سلطانهم على ما يقع تحت أيديهم من سكان و بلاد ، و عندما ضعفت الأسرة الأجوية قام النزاع و الحروب بين الأمراء الأحباش ، و قد أعطت هذه الظروف السياسية السيئة التي مرت بها دولة الحبشة في عصر الأجويين الذي امتدّ إلى سنة 668هـ/1270م الفرصة لسطنة شوا أن تعيش في أمن و استقرار حوالي أربعة قرون من الزمن[3].

---

[1] الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 252 .

[2] د/بشار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، 93 .

[3] الموسوعة الإفريقية، ج2، ص ص 256-257 .

و قد قامت في المنطقة التي تنحصر بين ساحل البحر الأحمر و خليج عدن و بين هضبة الحبشة مراكز تجارية عديدة على الساحل ، و انتشرت أيضا في الداخل و تحولت في النهاية إلى إمارات و ممالك إسلامية امتدت إلى هرر و بلاد أروسي جنوبا حتى منطقة البحيرات مطوقة الحبشة من الجنوب و الشرق[1] ، و عند دخول القرن 8هـ/14م ازدهرت هذه الممالك و سُميت بممالك الطراز الإسلامي لأنّها كانت كالطراز على سوحل الحبشة و هي كالتالي : أوفات ، هديا ، أرابيني ، دوارو ، شرحا ، بالي ، دارة ، و كانت هذه الممالك كلها ذات مساجـد و جوامع تقام فيها الجمعة و الجماعة[2].

و في هذه الأثناء انحصرت الحبشة في الهضبة المرتفعة ما بين شوا و أمحرة و تيجري ، و كان نفوذ ممالك الطـــراز يمتد إلى شمالي الحبشة ، فقام رجل يسمى "يكونة أملاك " و أسس دولة حبشية و هي دولة الأسرة السليمانية ، و أخذ يشن الغارات على المسلمين في الجنوب و الجنوب الشرقي ، و دامت هذه الحروب نحو ثلاث قرون ، و بلغت أشدّها في القرن 10هـ/16م حين تولى النجاشي لينا دنقل " Denghel" و ابنه كلاوديوس "Kalawdewos" من بعده ، حيث عانى المسلمون في أيامهم شدّة عظيمة و ضعفت دولتهم التي جعلوا عاصمتها هرر سنة 926هـ/1520م و كادت تنهار لولا قيـــام أحمد بن إبراهيم الذي جمع كلمة المسلمـــين و تولى أمرهم و لقبوه بالإمام و الغازي و صاحب الفتح و سمّاه الأحباش جراني أي الأعسر ، و كان قد حمل على الحبشة حملات شديدة بمؤازرة الأتراك الذين كانت جدّة و اليمن في قبضتهم[3] ، و ألحق بملك الحبشة لينا دنجل هزائم متتالية فتوفي شريدا مطاردا من جيوش المسلمين سنة 947هـ/1540م ليخلفه ابنه كلاوديوس الذي استعان بالبرتغاليين و في المقابل استعان الإمام أحمد بالعثمانيين ، و انتصر المسلمون و أسروا القائد البرتغالي كريستوفر داجاما و أعدموه ، و اعتقد أحمد بن إبراهيم أنّ النصر النهائي قد تحقق فعاد العثمانيون من حيث أتوا و عاد هو إلى مدينة هرر ، و شنّ ملك الحبشة هجوما كبير على المدينة سنة 949هـ/1543م و استشهد خلاله أحمد بن إبراهيم و أصبحت الممالك الإسلامية تابعة للحبشة ، و أعاد المسلمون الكرّة و هجموا على الأحباش و انتصروا عليهم و قتلوا ملكهم كلاوديوس سنة 967هـ/1559م ، إلا أنّ هذا النصر لم يعد للممالك الإسلامية قوتها التي كانت عليها أيام الإمام أحمد ، و دخلت البلاد في نزاعات قبلية و صراعات على السلطة ، فضلا عن ذلك فإنّ الحبشة في

[1] نفسه، ج2، ص 262 .

[2] يوسف أحمد، مرجع سابق، ص 23 .

[3] نفسه، ص 30 .

تلك المرحلة كانت تعاني بكل مكوناتها من الإضطهاد البرتغالي ، فبعد انتهاء مهمة القضاء على الجهاد الإسلامي بدأ البرتغاليون بإرسال المبشرين إلى الحبشة و الذين لم يقتصر عملهم على المسلمين بل حتى على النصارى بغرض تحويلهم إلى المذهب الكاثوليكي[1] .

[1] د/بشار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 113 .